



وزارة التجارة والصناعة
قطاع سياسات تنمية صادرات المشروعات الصغيرة
والمتوسطة
الإدارة المركزية لبرامج دعم القدرة التنسية
للمشروعات الصغيرة والمتوسطة

هجرة العقول العربية

مقدمة

إن الهجرة بالكائن البشري منذ القدم، فقد تنقل الانسان وواصل هجراته طلباً للغذاء والأمن تارة، و الأمن والحرية تارة اخرى. وقد ارتبطت الهجرة بالذاكرة الإجتماعية العربية والإسلامية بمدلول ديني على أثر هجرة المسلمين . لقد قامت العقول المهاجرة بدور رئيسي في عهد الحضارات القديمة حيث تم نقل أهم إنجازات البلد الذي هاجرت منه إلى البلد الذي إستقرت فيه، وأوجدت تفاعلاً خلاقاً بين الحضارات منذ القدم، وبخاصة بين الفلاسفة والعلماء المنتمين إلى مختلف الحضارات التي اختلطت بعضها ببعض.

إن هجرة العقول المتميزة ظاهرة عالمية وليست مقصورة على العلماء العرب فقط فهناك هجرة للعقول المتميزة من الهند وباكستان والصين واليابان وبعض الدول الأفريقية، ولكن اتجاهها دائماً من الدول النامية إلى الدول الصناعية الكبرى مثل بريطانيا وفرنسا وألمانيا وبالأخص الولايات المتحدة الأمريكية . وقد بدأت ظاهرة هجرة العقول العربية بشكل محدد منذ القرن التاسع عشر وبخاصة من سوريا ولبنان والجزائر وفلسطين ومصر ، وفي بداية القرن العشرين ازدادت هذه الهجرة وخصوصاً خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية.

أصيب المثقفون العرب بعد نكسة 1967 بصدمة نفسية ووجدوا في الهجرة هروباً من واقعهم السياسي والاجتماعي والاقتصادي المرّ. أما انتصار 1973 فساعد على إبقاء الكثير من العقول العربية في أوطانها كما ساعد على عودة عدد كبير من الكفاءات العربية المهاجرة إلى أوطانها للمساهمة في نهضتها.

إن هجرة الكفاءات العلمية أصبحت ظاهرة لافتة للنظر ليس بمصر وحدها وإنما على مستوى بلدان العالم الثالث و أن كافة الشرائح والفئات المكونة للبيئة معرضة لعملية الهجرة بل ومشاركة فيها أما الأسباب والدوافع فترتبط ببيئة المجتمع المادي وما يصاحبه من تدن في مستويات الحياة وبخاصة فيما يتعلق منها بكمية الغذاء ونوعيته وحالة المسكن وأوضاع المرافق وأحوال البيئة فيندفع الفرد إلى تغيير مكان

الإقامة بالهجرة ومن بين الأسباب الأخرى ضآلة فرص العمل بل انعدامها أحيانا الأمر الذي يؤدي إلى ظهور أشكال متعددة للبطالة السافر منها والمقنع. في العصور الحديثة ولأسباب عديدة وفي مقدمتها الأسباب السياسية والاقتصادية برزت ظاهرة الهجرات المنطلقة من دول العالم الثالث صوب أوروبا والغرب مما ساهمت في ظهور مشاكل وأزمات نالت حظاً واسعاً من النقاشات الفلسفية والسياسية والثقافية .

إن لكل عالم وخبير عربي أسبابه الخاصة التي دفعته إلى الهجرة. ومن الطبيعي أن يبحث العالم العربي وطالب المعرفة عن المكان الذي تتواجد فيه شعلة الحضارة. وبما أن شعلة الحضارة انتقلت إلى الغرب فمن الطبيعي أن يهاجر الخبراء والعلماء إلى المراكز التي تحتضن هذه الشعلة.

أصبحت ظاهرة هجرة العقول العربية تشكل هاجساً مخيفاً للحكومات والمنظمات على حد سواء. وقدرت التقارير ان تلك الهجرة التي تكاد لا تتوقف تتسبب في خسائر مالية تتجاوز 200 مليار دولار.

إن هجرة العقول ليست ظاهرة مصرية بل هي ظاهرة عالمية فكثير من الدول تهجرها العقول ومنها الدول الأوروبية وأمريكا لكن المشكلة أن الأسباب التي تؤدي لهجرة العقول لدينا أصعب بكثير من الدول الأخرى فلدينا أسباب كارثية تعتبر هي المشكلة الأساسية وليست المشكلة من الشباب أنفسهم مثل عدم الاهتمام بالتميزين بل إهمالهم وتعهد دفن مواهبهم من خلال مرءوسيههم الأقل كفاءة وعدم إتاحة الفرصة للبحث والإبداع والتفكير والتطوير بالإضافة إلى الوضع السياسي والاقتصادي الصعب ونمو ظاهرة الوساطة التي تعتبر قاتلة لأي موهبة.

أولاً : المفهوم الإصطلاحى لهجرة العقول البشرية :

تعددت المصطاحات بشتى اللغات للإشارة الى ذلك ومنها (هجرة الأدمغة) أو يطلق عليها البعض (إجهاض الأدمغة)، أو(نزيف الأدمغة)، (هجرة الكفاءات) و(إهدار الطاقات) و(هجرة العلماء) و(تهب المعرفة) و (إقتناص العلم) وهي ظاهرة تثير الحزن والأسى على الواقع العربي المؤلم.

ثانياً : تعريف هجرة العقول : إنتقال شاب عربي ذكى من المعاهد والجامعات العربية، إلى جامعة عالمية للحصول على درجة علمية وبعد أن يتم بعثته العلمية ويثبت كفاءته حتى يتخذ قراره بعدم العودة إلى بلده وتفضيل البقاء والإستمرار في

المجتمع الغربي. وهكذا تضيع علينا فرصة الاستفادة من خيرة أبنائنا، ونقدمهم مجاناً هدية لغيرنا، ونساهم بأنفسنا في توسيع الفجوة العلمية بيننا وبين الغرب.

ثالثاً : أصناف المهاجرين :

تم وصف هجرة العقول في صنفين من المهاجرين :
الأول: المتخصصون الذين يهاجرون من الدول النامية الى الدول المتقدمة بهدف العما والبحث عن فرص للتألق العلمي والإستفادة من مناخ يحفز الى الإبتكار ويقدر الإبداع .

الثاني : الطلاب الذين يرحلون من الدول النامية الى المتقدمة بقصد الدراسة والتدريب والتوسع في الخبرة ولكنهم يقررون البقاء والعمل في تلك الدول لفترات تتفاوت في مدتها .

رابعاً : مذاهب (مدارس) تفسيرات ظاهرة هجرة العقول :

المدرسة الأولى : تتناول الظاهرة من منظور فردى وهو ان الكفاءات أفراد متميزون يسعون لتحقيق ذاتهم فكرياً ومهنياً .

المدرسة الثانية : تتناول هجرة العقول من حيث أنها ظاهرة دولية تمتد جذورها الى نظام الإقتصاد السياسى الذى يسيطر على العالم وقيام سوق دولية للكفاءات .

خامساً :- تشير الإحصاءات الصادرة عن منظمة العمل العربية وعن جامعة الدول العربية بما يلى :

- هاجر بنسبة من 25-50% من حجم الكفاءات العربية في الدول الاوروبية والاميركية والكندية وذلك خلال الخمسين سنة الماضية.
- يهاجر حوالي 100 ألف من أصحاب التخصصات في الهندسة والطب والتكنولوجيا كل عام من تسعة أقطار عربية في لبنان وسوريا والعراق والأردن وفلسطين ومصر وتونس والمغرب والجزائر.
- ان نسبة 70% من العلماء الذين يسافرون الى الدول الأجنبية بهدف التخصص لا يعودون بل يستقرون في البلاد التي يتخصصون فيها.
- منذ عام 1977م حتى عام 2006 هاجر اكثر من 750 الف عالم عربي الى الولايات المتحدة الاميركية.
- ان نسبة 50% من الاطباء و25% من المهندسين و15% من مجموع الكفاءات العربية يهاجرون الى اوروبا وامريكا وكندا.

- ان نسبة 54% من الطلاب العرب الذين يدرسون في الخارج لا يعودون الى بلدانهم وإنما يستقرون في البلدان التي تخرجوا منها.
- يشكل الأطباء العرب العاملون في بريطانيا نحو 34% من مجموع الأطباء العاملين فيها.
- تستقطب ثلاث دول غربية وهي (أمريكا وبريطانيا وكندا نحو 75% من العقول والكفاءات العربية) .
- هاجر أكثر من مليون ونصف المليون من الكفاءات العربية الإسلامية إلى أمريكا وكندا في الفترة ما بين 1960 وحتى 2007م. والذي يلفت النظر أن هناك صمتا مطبقا إزاء هجرة العقول والكفاءات في البلاد العربية والإسلامية. علما إن الوطن العربي يتعرض إلى خسائر إقتصادية كبيرة نتيجة هجرة العلماء المتميزين بالإضافة إلى الخسائر العلمية والاجتماعية.
- كما تشير تقارير أصدرتها كل من الجامعة العربية ومؤسسة العمل العربية والأمم المتحدة (عبر تقارير التنمية الإنسانية العربية)، إلى وقائع وأرقام حول هجرة العقول العربية إلى الخارج. وتركز هذه التقارير على أن:
- المجتمعات العربية أصبحت بيئة طاردة للكفاءات العلمية و تشكل هجرة الكفاءات العربية 31% مما يصيب الدول النامية بالتخلف .
- ينتمي 34% من الأطباء الأكفاء في بريطانيا إلى الجاليات العربية، وأن مصر وحدها قدمت في السنوات الأخيرة 60% من العلماء العرب والمهندسين إلى الولايات المتحدة، فيما كانت مساهمة كل من العراق ولبنان 15%..
- تشير دراسة أعدتها كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة إلى وجود 4102 عالم إسلامي في مختلف علوم المعرفة في مؤسسات ومراكز أبحاث غربية.
- ويذكر تقرير رسمي حول العمالة العربية المهاجرة أعدته مؤسسة العمل العربية وجرى توزيعه على وزراء العمل العرب، أن عدد حملة الشهادات العليا فقط من العرب المهاجرين إلى أمريكا وأوروبا يبلغ 450 ألف عربي. وهكذا يذهب إنتاج هذه العقول الجاهزة ليصب مباشرة في إثراء البلدان المتقدمة

ودفع مسيرة التقدم والتنمية فيها في ما يخسر الوطن العربي ما أنفقه ويخسر فرص النهوض التنموي والاقتصادي التي كان يمكن أن تسهم هذه العقول في إيجادها.

■ وضعت عددا من الدول العربية كالكويت والعراق وليبيا برامج وخططا وافتتحت مراكز للبحث العلمي لتشجيع العقول العربية المهاجرة على العودة إلا أنها لم تنجح إلا باستقطاب القليل من الخبرات نظرا لعدم شمولية المعالجة وعدم النجاح في إيجاد بيئة علمية مستقرة. بل إن بعض المصادر تشير إلى أن بلد كالعراق هاجر منه 7350 عالما في مختلف المجالات ما بين عامي 1991 و 1998 نتيجة الأوضاع التي كانت سائدة في العراق وظروف الحصار الدولي التي طالت الجوانب العلمية.

■ أكدت دراسة صدرت مؤخرا عن الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء بالتعاون مع أكاديمية البحث العلمي أن توزيع الكفاءات من العلماء والخبراء الذين يعملون في مختلف التخصصات العلمية موزعة كآتي: 11 ألفا في تخصصات نادرة و94 عالما في الهندسة النووية و36 في الطبيعة الذرية و98 في الأحياء الدقيقة و193 في الالكترونيات والحاسبات والاتصالات. كما تحظى أمريكا بالنصيب الأكبر من الكفاءات والعقول المصرية المهاجرة بنسبة 39% تليها كندا بنسبة 13.3% وإسبانيا في المؤخرة بنسبة 1.5%.

■ تؤكد الإحصائيات ذاتها أن عدد العلماء المصريين بالخارج من ذوي التخصصات النادرة يقدر بنحو 618 عالما منهم 94 عالما في الهندسة النووية. و26 في الفيزياء الذرية. و48 في الكيمياء. و25 في الفلك والفضاء و48 في البيولوجي والميكروبيولوجي و46 في استخدامات الأشعة السريمية. و22 في الجيولوجيا وطبيعة الزلازل و67 في المؤثرات الميكانيكية و66 في الكباري والسدود و93 في الالكترونيات و72 في استخدامات الليزر و31 في تكنولوجيا النسيج.

سادساً :عوامل جذب العقول من الدول النامية إلى الدول المتقدمة:

أ-العامل المادي يجذب الكفاءات من دول منخفضة الدخل إلى دول مرتفعة الدخل ويجعل العلماء يرغبون في العيش في وسط علمي والاستفادة من بنيته العلمية

التحتية المؤلفة من التجهيزات والمختبرات والتسهيلات التي توفرها الدول المتقدمة.
ب- التسهيلات التي تقدمها الدول المتقدمة للحصول على الإقامة الدائمة وإشعار الكفاءات بالانتماء والمساواة.

سابعاً : عوامل طرد الكفاءات البشرية وتأثيراتها :

- العامل الاقتصادي الفقر يطرد الكفاءات من الدول النامية وارتفاع مستوى المعيشة في الخارج يجذبها إلى الدول الغنية.
 - الأنظمة التعليمية لا تعتمد على التخطيط السليم مما يخلق فائضاً في بعض التخصصات وعجزاً في أخرى والفائض يفتح الباب للهجرة لعدم عمل له .
 - البيئة العلمية والتجهيزات والمختبرات : غيابها في الدول النامية يشكل عامل طرد فالمختص لا يجد في بلده العوامل التي جعلت منه مختصاً بارزاً في الغرب.
 - تشبيط العزائم فالمختص عندما يعود إلى بلده يواجه عدداً من القيود والمعوقات التي تدخل اليأس على نفسه وتدفعه للهجرة.
 - عقدة الأجنبي كثيراً ما يجد المختص نفسه في بلده تابعاً لخبير أجنبي قد يكون هو أفضل منه ويأخذ امتيازات أعلى.
 - البيروقراطية وما تسببه من تعقيدات للمختص فكل أمر يحتاج إلى ألف معاملة وكل معاملة تحتاج إلى عدة مراجعات.
 - نظام الحوافز هذا النظام غائب وغير عادل وبه دفن للمواهب بالإضافة الى ظاهرة الوساطة فهي قاتلة لأي موهبة .
 - الوضع العربي وهو يتصف بقلّة الاستقرار وتسلّط الروح الفردية وفي هذا الجو يصعب على المفكر أن يتلاءم مع الواقع ويجعله يشعر بالإحباط والعجز
- ### ثامناً : أسباب هجرة العقول العربية الى الخارج :

- ان الدول النامية لا تميز في كثير من الاحيان بين المتميز وغيره حيث توجد الانظمة الجامدة التي تعامل الجميع بنفس المقياس ولا تعطي للمتميز ما يشجعه على مزيد من البذل والعطاء فينشأ الإحباط.
- ان مجال العمل والبحث والتطوير محدود أمام طالب العلم مما يجعله بين خيارين الخيار الأول هو الإستكانة والقبول بالأمر الواقع وهذا الأسلوب راح ضحيته آلاف من العلماء المتميزين ويذهب ضحيته أعداد هائلة في وقتنا الحاضر والخيار الثاني

- هو قبول العروض المغربية التي تقدمها المراكز العلمية في الغرب لكل متميز مبدع والتي تتمثل بالمال والجاه وكثير من المميزات التي لا يحلم بها في وطنه الأم.
- بعض من ملكة العقل المتميز يدفعه إلى الهجرة طموح علمي لا يحققه له الموقع الذي يتواجد فيه لذلك يذهب إلى إشباع روح البحث والتطوير أو المشاركة الفاعلة في الرأي والخبرة أو الحصول على الدعم المادي والمعنوي وإلى حيث يستجاب لطلباته مهما كلفت .
- بعض منهم يكون قد ذهب لتلقي العلم هناك كطالب وبعد تخرجه يتميز يجد فرص العمل متاحة أمامه فيقرر بعضهم البقاء لفترة معينة ويعود إلى وطنه ولكن في الغالب يطول به المقام و يتدرج في سلم المجد العلمي فيصعب عليه التفريط بما حققه من انجاز ، وأحياناً لا يجد مقابل مجزى في العودة إلى الوطن من الناحية العلمية والمادية.
- الأوضاع السياسية ان أكثر العلماء المهاجرين ينتمون إلى دول غير مستقرة سياسياً أو إلى دول فقيرة جداً و وجود نزاعات عرقية أو طائفية أو مذهبية والبعض لا يتوافق ايدولوجياً مع النظام القائم في بلده مما يدفعه إلى البحث عن مخرج .
- الوضع الإقتصادي فيتمثل في تدنى الرواتب التي يتقاضاها العلماء في بلادهم تدفعهم الى الهجرة بهدف تحسين اوضاعهم المعيشية.
- المحسوبة إن العالم العربي لا زال في طور النمو ولا زالت المحسوبة عنصراً قاتلاً لكثير من الطموح .
- عدم إقدام الدول العربية على منهجية اقتصادية جماعية تجعل منها محور اقتصادي فاعل وبالتالي ينعكس على أوضاعها الاقتصادية .
- إن اعداد المتعلمين الذين تدفع بهم الجامعات والمعاهد المتخصصة في ازدياد مستمر مع عدم توفر فرص العمل المناسبة مما يجعل كثيراً من المتميزين العرب عرضة لمغريات الهجرة إلى دول الغرب أو الشرق حيث تتوفر فرص العمل وإرضاء الطموح.

- إن الثروة الصناعية كانت السبب الرئيسي في نمو الكثير من الصناعات في الدول المتقدمة خاصة في مجال تكنولوجيا المعلومات. وأدى هذا الاتجاه الى زيادة الطلب العالمي على الأيدي العاملة الماهرة.
- إن عملية العولمة تقوم بتغيير نمط علاقات العمل مما جعل الاقتصاديات المتقدمة تتجه الى الدول النامية للحصول على الأيدي العاملة وبالإضافة الى ذلك أدى تناقص الأيدي العاملة، نتيجة تزايد معدلات كبار السن
- اضطراب الأمن: ان الخوف واضطراب الامن في اي بلد يؤدي ايضا الى هجرة المتخصصين من حيث يخاف العالم على نفسه فيبحث عن مكان آمن.
- عدم تقدير واحترام العلماء من قبل دولهم، حيث أن بعض الدول العربية تعطي الخبير الأجنبي أضعاف راتب الخبير العربي بالإضافة الى الإمتيازات التي تمنع للخبير الاجنبي ويحرم منها الخبير العربي، وهذا ما يدفع الخبير العربي الى الهجرة من بلده.
- الإفتقار الى عوامل التشجيع إن العالم العربي المبتكر والمخترع لا يجد من يشجعه في بلده كما أن المكافأة المالية او المعنوية من المسؤولين في بلده تكون محدوده ولا تتناسب مع مجهوده .
- الإمكانيات المادية إن عدم توفر الإمكانيات المادية للبحث وإجراء التجارب العلمية والمخبرية يؤدي الى الحد من طموحات ونشاطات العالم العربي فيلجأ الى دول متقدمة علمياً وصناعياً .
- ضعف ميزانية البحث العلمي: رغم القدرات الاقتصادية المالية لدى بعض الدول العربية والإسلامية الا انها لم ترصد ميزانية للبحث العلمي أو أن المخصصات للبحث العلمي ضعيفة لا تفي بالحاجات المطلوب.
- الحوافز والإغراءات (التشريع الذي صدر في الولايات المتحدة في عام 2000 والذي يحمل اسم «موارد تكنولوجيا القرن الحادي والعشرين والزعامة التجارية» يهدف الى مساعدة و منح أفضلية للأجانب حاملي الشهادات العليا في الرياضيات والعلوم والهندسة والتكنولوجيا. وقد حذت دولا أخرى حذو الولايات المتحدة مما اعتبره البعض (سرقة العقول).

- لا يقتصر الفقر على مفهوم واحد ولكنه يمتد ليشمل فقر الإمكانيات والقدرات والذي يعكس نقص الخدمات الأساسية، إنخفاض مستوى المعيشة ونوعية الحياة معا ويرتبط الفقر بهذا المعنى بنقص التشغيل، البطالة والتهميش وضعف أو انعدام فرص الحراك الاجتماعي وهو المحرك الأساسي لانتقال الناس مكانيا، لأسباب ايدولوجية أو عرقية أو ثقافية أو دينية تلعب دورا هاما في الهجرات الجماعية الى جانب التعرض لاشكال القهر بدءا بالحرمان من الحقوق السياسية، والاعتقال دون قوانين وكبت الحريات إلى التعذيب والتصفيات الجسدية.

من اسباب الجذب توفر امكانات البحث العلمي في الدول التي تتم الهجرة اليها سواء مايتعلق بمناخ البحث العلمي السائد أو الامكانات المادية من معامل ومختبرات وتمويل وفرق عمل بحثي متكاملة الى جانب وجود الجماعة العلمية المرجعية المحفزة للابداع العلمي وكذلك العوامل النفسية للمهاجر نفسه والمغريات التي تقدمها دول المهجر. و من نماذج تشجيع العقول على البقاء في الدول التي هاجروا اليها (قرار للكونغرس الأمريكي بزيادة تصريحات الحصول على بطاقات الاقامة للمتخرجين الأجانب في مجال التكنولوجيا المتطورة من 90 ألف دولار في السنة الى 150 ألف دولار ثم الى 210 الاف العام الحالي) .

- تشكل ظروف المعيشة أحد حوافز هجرة العقول فاجور العاملين بالجامعات والمعاهد العليا والمراكز البحثية في مصر تحت طائفة أصحاب الاجور الثابتة والمجمدة باللوائح الأجرية و لتحسين مستوى المعيشة يلجأ الباحثين إما الى الإشتغال بمهام وظيفية أخرى مدره للدخل وأما تفضيل الهجرة والتي تتوافق والعوامل الأخرى المشار إليها كالبينة البحثية والإمكانيات التمويلية .

- مهارة سياسات دول العالم الصناعي في اجتذاب الكفاءات من مختلف الدول في إطار من التخطيط الواعي وعلى أساس انتقائي وهي المهارات التي غالبا ما تبقى في الخارج لأسباب متعددة مما يهدر مهارات بشرية مؤهلة لقيادة خطط التنمية خاصة في الدول النامية.

- إن واقع حرية الرأي والتعبير التي تعاني تقيداً وقمعاً وهي أمور ذات أهمية كبيرة يحتاج فيها الباحث إلى الحرية في البحث والتحقيق وتعيين المعطيات وإصدار

النتائج. ولا يزال العالم العربي يتعامل مع الأرقام بصفتها معطيات سياسية ذات حساسية على موقع السلطة .

-وتشير تقارير عربية إلى تدخل السلطة السياسية في أكثر من ميدان لمنع إصدار نتائج أبحاث أو دراسات، تكون الدولة تكبدت مبالغ لانجازها، وذلك خوفاً من أن تؤثر نتائج الدراسات في الوضع السياسي السائد.

-يشكل التطور العلمي والتكنولوجي وثورة الاتصالات التي تشهدها البلدان المتقدمة عنصراً جذاباً لأصحاب الاختصاصات في التكنولوجيا العالية، حيث تقدم المجتمعات الغربية، إغراءات مادية وحياتية لعلماء كثيرين برعوا في هذه المجالات، أو لأصحاب طموح وجدارة في تحصيل علمي متقدم في علوم يستحيل وجود مثلها في بلده الأم. وهو ما يعني استحالة عودة هذه الكفاءات إلى موطنها بعد تخرجها.

تاسعا : آثار هجرة العقول العربية للخارج وأضرارها الاقتصادية :

إن الإستقرار السياسي والوضع الاقتصادي الجيد من أبرز مقومات التنمية بما في ذلك المحافظة على العقول المتميزة في مختلف التخصصات العلمية والأدبية وغيرها .

الخسائر الدولية

تشير الاحصائيات الحديثة الى أن تكلفة هجرة العقول في أفريقيا وحدها تبلغ 4 مليارات دولار في توظيف 150 ألف مهني أجنبي سنويا بدلا من المواطنين الذين يهاجرون. ووفقا لاحصائيات برنامج الأمم المتحدة للتنمية فان أثيوبيا فقدت 75% من قوة العمل بها في الفترة من 1980حتى 1991 مما أضر بقدرتها على التغلب على حالة الفقر التي تعاني منها.

أشار تقرير البنك الدولي لعام2005 إلى أن 7% من حملة المؤهلات العليا في أفريقيا يعيشون في دول منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية مما يسبب نزيفا للموارد البشرية للقارة الأفريقية التي تفتقر أصلا لهذه الموارد مما يؤثر على دفع عجلة النمو والتنمية في بلادهم.

تعد ظاهرة هجرة الكفاءات والعلماء من الدول العربية الى الخارج أحد أهم العوامل المؤثرة على تطور الاقتصاد القومي وعلى التركيب الهيكلي للسكان والقوى البشرية

وتكتسب هذه الظاهرة أهمية متزايدة في ظل تزايد اعداد المهاجرين خاصة من الكوادر العلمية المتخصصة . وتتمثل أهم الآثار السلبية في حرمان هذه الدول من الاستفادة من خبرات ومؤهلات هذه الكفاءات في مجال التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتعاني مصر وغيرها من الدول العربية من اثار هذه الظاهرة .

وعن الجانب الاجتماعي لظاهرة الهجرة أن المكاسب التي تجنيها الدول المتقدمة من جراء هجرة العقول إليها هي نفسها وبصورة معكوسة تمثل الخسائر التي تمنى بها الدول الأقل تقدماً نتيجة هجرة العقول منها وتتكامل المشكلة حينما تسعى المجتمعات التي هجرها أبناءها واتجهوا صوب المجتمعات الأكثر تقدماً إلى الاستعانة بنتاج عمل هؤلاء. وهم أبناءهم، فمثلاً في المبتكرات التكنولوجية التي أنتجوها أو السلع التي طورها أو مجسدا فيهم شخصياً حين يعودون إلى بلادهم في زي الخبراء الدوليين .

إذ تسببت هذه الهجرة ولا تزال في تخلف حقول المعرفة في العالم العربي وفي إضعاف الفكر العلمي والعقلاني وعجزه عن مجاراة الإنتاج العلمي العالمي وعلى مشاريع التنمية والإصلاحات، مما يزيد التخلف السائد أصلاً في هذه المجتمعات، وذلك بعدما بات مقياس التقدم متصلاً اتصالاً وثيقاً بمدى تقدم المعرفة وإنتاجها.

التحويلات المالية : بالرغم من الآثار السلبية لهجرة العقول على التنمية غير أنها مثل العملة التي لها وجهان. فقد ذكر تقرير البنك الدولي لعام 2005 عن التوقعات الاقتصادية الدولية (الدلالات الاقتصادية للتحويلات المالية والهجرة) أن هناك حوالي 200 مليون شخص يعيشون خارج أوطانهم الأصلية، وتبلغ تقديرات تحويلاتهم المالية الى تلك البلدان حوالي 225 مليار دولار في عام 2005، مما يعتبر أكثر كثيراً من المساعدات الأجنبية التي تتلقاها الدول النامية. فهناك صلة مباشرة بين الهجرة وتخفيض أعداد الفقراء في الوطن الأصلي للمهاجرين. فالاستقصاء الذي تم اجراؤه للأسر في الفلبين يُبين أن التحويلات التي تتلقاها الأسر الفلبينية تعني: تخفيض عمالة الأطفال، وزيادة التحاقهم بالمدارس، وازدياد معدلات الأشخاص الذين يقومون بمشروعات استثمار كثيفة باستخدام رأس المال.

وذكر تقرير الأمم المتحدة أنه مع الأخذ في الاعتبار التقديرات الحالية للزيادة في سوق العمل في الدول الصناعية والتي تبلغ 3% سنويا فإنه من المتوقع أن تملأها اعداد المهاجرين المتزايدة، مما سينتج عنه توقعات بحلول عام 2025 أن تكون الزيادة في مكاسب المهاجرين حوالي 356 مليار دولار مما يعتبر أكثر من مكاسب هذه الدول من التجارة مثلا. كما ذكر تقرير الأمم المتحدة ان كل 10% زيادة في التحويلات للشخص الواحد تؤدي الى انخفاض معدلات الفقر بنسبة 3.5% وترتبط التحويلات المالية بزيادة الاستثمارات في مجال الأسرة على التعليم والصحة وباقي الخدمات.ويمكن تحديد سلبيات زيادة عمليات التحويلات المالية الكبرى في زيادة قيمة العملة وقد تتسبب في الحاق الضرر بالصادرات, كما قد تتسبب التحويلات المالية في أن يلجأ البعض الى حياة الكسل والخمول والتواكل معتمدين على أموال التحويلات التي تأتيهم بدون عناء مما يؤدي الى آثار سلبية على النمو الاقتصادي في البلاد. وفي الوقت نفسه يتم في كثير من الأحيان استخدام التحويلات في بعض الأحيان في عمليات غسل الأموال وتمويل الارهاب.على الرغم من وقوف الدول الغربية ضد هجرة مواطني الدول النامية اليها وسنها قوانين ولوائح لمواجهةها "الا أنها تتبنى سياسات مخططة ومدروسة بدقة لاستقدام أصحاب الكفاءات والمهارات الخاصة من هذه الدول .

و في ظل انخفاض عدد السكان خلال السنوات القادمة بحاجة الى جذب المهاجرين المهرة الذين لايتسببون في مشكلات من وجهتي النظر الاقتصادية والاجتماعية بل سيدعمون الاقتصاد القومي للبلاد المهاجرين اليها واعتبرت أن من أهم فوائد هجرة العقول بالنسبة لاقتصاديات الدول المهاجرين اليها أنها تساعد على خفض التضخم وزيادة معدل الانتاجية فضلا عن الاستفادة من الخدمات الاجتماعية التي تكون عادة منخفضة بين المهاجرين مقارنة بالسكان الأصليين.

سابعاً: المكاسب والخسائر من هجرة الأدمغة :

1- أن ظاهرة هجرة الكفاءات ذات تأثير بالغ على كل من طرفي البلاد، المهاجر منها والمهاجر إليها، على حدّ سواء إلاّ أنّه تأثير يختلف في طبيعته بعض الاختلاف بين الطرفين.

2- الهجرة الفكرية تساهم إسهاماً فاعلاً في التقدّم الصناعي والتكنولوجي وتسرع من حركة التنمية الشاملة فيها، وهو أمر مشهود به من قبل أهل تلك البلاد أنفسهم، كما يدلّ عليه حصول بعض العلماء المسلمين المهاجرين على جائزة نوبل، وهي الشهادة العالمية العليا على الريادة والعطاء في الأنشطة العلمية على إختلافها. وأمّا بالنسبة إلى البلاد المهاجر منها، فإنّ تأثير هجرة العقول يبدو في طرفه القريب تأثيراً سلبياً عليها، إذ هجرة العقول منها يعتبر نقصاناً من رصيدها الذي به تتحرّك نحو نهضتها، وذلك بما ينقص بتلك الهجرة من إمكانيات الإبتكارات والكشوف العلمية والفكرية التي من شأنها أن تطوّر الحياة وتنمّيها، وإن كان بعض الباحثين يشكّك في أن يكون لتلك العقول المهاجرة تأثير إيجابي في البلاد التي هاجرت منها فيما لو بقيت فيها، إذ هي حينئذ سيكون مآلها الانكماش والتعطل كالعقول التي لم تهاجر، وذلك بحسبان أنّ المناخ العامّ في تلك البلاد غير مساعد على الانطلاق في سبيل الريادة والابتكار والعطاء، وهو ما كان أحد أسباب هجرتها إلى بلاد يتوفّر فيها ذلك المناخ.

3- إنّ العقول الإسلامية المهاجرة إلى الغرب هي من صميم وصفوة الأمة في قدراتها العقلية وفي درجاتها العلمية وفي مستوياتها الفكرية ولعلّ ذلك البعد في ثقافتها يكون أقوى عند نقل الثقافة الإسلامية في دول الغرب .

4- تعتبر ظاهرة هجرة الكفايات والعلماء من الدول العربية الى الخارج أحد أهم العوامل المؤثرة على تطور الإقتصاد القومي، وعلى التركيب الهيكلي للسكان والقوى البشرية. وتكتسب هذه الظاهرة أهمية متزايدة في ظل تزايد اعداد المهاجرين، خصوصاً من الكوادر العلمية المتخصصة، وتتمثل أهم الآثار السلبية في حرمان هذه الدول الإستفادة من خبرات ومؤهلات هذه الكفايات في مجال التنمية الاقتصادية والاجتماعية. وتعاني مصر وغيرها من الدول العربية، من آثار هذه الظاهرة .

7- واقتصاديا فإن للهجرة مخاطر كبيرة رغم أن البعض يعتبرها مصدراً للعملة الصعبة ولها تأثير كبير علي الدخل القومي والمستوي العام إلا أن تحويلات

المصريين العاملين بالخارج رغم كبرها إلا أنها لم تفد البلد بالقدر الذي خسرت البلد من هجرتهم ويرجع ذلك الى : -

■ إن قيمة التحويلات لا تساوي قيمة العقول المهاجرة خاصة أن الهجرة الحالية تتم لخيرة العقول والأثر السلبي للهجرة يتمثل في حرمان الدولة من تحقيق نقلة نوعية سواء علي المستوي الاقتصادي أو السياسي من خلال المهاجرين.

■ أن قيمة التحويلات الخارجية اقتصرت علي تحسين مستوي المعيشة بالنسبة لأسر العاملين بالخارج و ليس علي الاقتصاد خاصة أن رعوس الأموال القادمة من أوروبا والخليج تستثمر في جانب كبير منها في الاستثمار العقاري وبناء بيوت للعائلة فقط وليست رعوس أموال يتم استثمارها في الدولة.

ثامناً: أمثلة للهجرات في دول مختلفة :

تعاني دول الاتحاد السوفيتي السابق من مشكلة نزوح العقول منها في مجالات العلوم وإدارة العمال والثقافة حيث هاجرت أعداد كبيرة من المواطنين الى أمريكا وأوروبا واليابان والصين ودول أمريكا اللاتينية بسبب الأزمات الاقتصادية والسياسية التي تعاني منها هذه الدول.

تعاني دول أوروبا الشرقية من هجرة العقول الى أيرلندا والمملكة المتحدة وعلى سبيل المثال ذكرت (موسوعة وكبيديا) أن ليتوانيا فقدت 100 ألف من الكفاءات العلمية والفنية منذ عام 2003 كما حدثت هذه الظاهرة في بولندا بعد انضمامها للاتحاد الأوروبي فمنذ عام 1991 هاجر مليون بولندي الى دول أوروبا الغربية %90 منهم يبلغون من العمر 35 عاما.

الدول الآسيوية:

ذكر تقرير صادر عن الأكاديمية الصينية للعلوم الاجتماعية بعنوان (السياسة الدولية والأمن في عام 2007) أنه في بعض أقسام جامعة بكين نجد أن حوالي %76 من

الطلبة هاجروا على الولايات المتحدة في الوقت الذي تحتاج فيه الصين بشدة الى العقول المثقفة والأيدي العاملة. وأضاف التقرير أنه منذ عام 2002 ذهب أكثر من 100 ألف شخص للدراسة في الخارج ولكنهم اختاروا عدم العودة للصين مما يشكل خسائر مادية بالاضافة الى خسارة سوق العمل لأصحاب المؤهلات والخبرة.

الدول الأفريقية

أفادت منظمة الصحة العالمية ان الدول الأفريقية تعاني بشدة من نقص العاملين في مجال الرعاية الصحية كما ان استعانة الدول المتقدمة باعضاء المهن الطبية من الدول النامية وتقديم مختلف الحوافز لهم لتشجيعهم على الهجرة، جعل هذه الدول تعاني بشدة من سوء الرعاية الصحية.

وصف خبراء منظمة الصحة العالمية أن أفريقيا لديها 2.3 شخص في مجال الرعاية الصحية لكل 1000 شخص بينما يختلف الحال تماما في أمريكا حيث يوجد 24.8 متخصصا في الرعاية الصحية لكل 1000 شخص. ويذكر أن الأطباء في أفريقيا يتعاملون مع 10 أضعاف الأمراض التي يتعامل معها زملائهم في مناطق أخرى.

بعض الجهود التي بذلت بشأن إستقطاب وإعادة أصحاب الخيرات من الخارج

أولاً : مشروع الطريق الى نوبل

هو مشروع جديد للعالم المصرى فاروق الباز ويشرف عليه الدكتور هانى الناظر رئيس المركز القومى للبحوث المصرية ويهدف المشروع الى :

- إحتواء الباحثين والكفاءات العلمية والإجتماعية .
- مساعدة الباحثين على حصول جائزة نوبل خلال عشرين عاماً .
- توفير الإمكانيات اللازمة للباحثين كل فى مجال تخصصه لإنجاز أبحاثهم بنفس الإمكانيات الموجودة فى الدول المتقدمة بقدر الإمكان .

ويفضل تفعيل مشروع (الطريق الى نوبل) تم إعادة نسبة كبيرة من العقول المصرية المهاجرة بالخارج .

ثانياً : جهود وزارة الإتصالات والمعلومات

أظهرت الدراسات أن أخطر وأهم المجالات وحدثها هو هجرة مكثفة للعقول بقطاع تكنولوجيا المعلومات وقطاع الاتصالات فهناك عباقرة مصريين تفوقوا في مجال البرمجة والتكنولوجيا الحديثة وتقنية المعلومات وتفوقوا على العلماء في كبرى المراكز العلمية والبحثية في أمريكا مما دفع شركة كبرى مثل مايكروسوفت الى جذبهم بالرواتب العالية والإغراءات الأخرى مما جعل مصر تحد من هذه الظاهرة بإنشاء القرية الذكية وتحديثها وتنميتها .

ثالثاً : شبكة العلماء والتكنولوجيين العرب في الخارج

قام العلماء العرب بإنشاء شبكة للعلماء العرب في المهجر تسمى "شبكة العلماء والتكنولوجيين العرب في الخارج" والتي تعرف اختصاراً باسم الاستا (ALSTA) وقد انبثقت الشبكة نتيجة للمؤتمر الأول للعلماء والتكنولوجيين العرب في الخارج الذي عقد في عمان عام 1992م وهذه تهدف إلى التعريف والكشف عن مواقع الكفاءات في الدول الغربية ورصد إسهاماتها في مسيرة التقدم العلمي الحديث .

أهم التوصيات : -

- إقامة مراكز للبحث العلمي ذات تخصصات متعددة حسب احتياجات كل بلد، ورصد المبالغ الكافية لتغطية نفقات البحوث والتجارب مع منح ومكافآت مجزية للعلماء والباحثين والمبدعين والمخترعين.
- رصد جوائز تشجيعية لمن يقدم اختراعاً جديداً او يقدم بحثاً متميزاً نادراً.
- تبني المبدعين المتميزين وتقدي البعثات العلمية شريطة العودة الى بلادهم للعمل فيها.
- ان يعطي للمبدعين الحرية في اختيار التخصص الذي يرغب فيه ويميل اليه.
- الإستفادة من الاموال العربية وإستثمارها في الأبحاث العلمية والتكنولوجيا .
- وضع استراتيجية عربية متكاملة بهدف الاستفادة من النخب العلمية، وان نعقد اتفاقات علمية وثقافية تبادلية فيما بين الدول العربية والاسلامية.
- تنمية الوازع الديني والوطني في قلوب ونفوس وعقول طلابنا وعلمائنا بالعودة الى بلادهم واطوانهم لخدمة البلاد.
- بناء شراكة مع العقول العربية المهاجرة فالعلماء العرب اليوم يتواجدون في اعرق المراكز العلمية والجامعية والبحثية والصناعية ويطلعون ويطورون كثيراً منها لذلك

- فإن بإمكانهم عند تقديم دعوة صادقة لهم للمشاركة من مواقعهم في بعض البرامج القائمة في مراكز البحث والجامعات العربية ان يكونوا خير عون
- إن توطين التقنية ونقل المعرفة من الدول المتقدمة صناعيا مثل أمريكا واليابان وجنوب شرق آسيا وأوروبا يحتاج إلى قناة اتصال اساسها العنصر البشري لذلك فإن وجود عقول عربية ذات خبرات وكفاءات متميزة في الدول المتقدمة يساعد في الإسراع في عملية النقل و مثل هذا التوجه استفادة كل من الهند من علمائها المهاجرين وكذلك الصين وفي نفس الوقت لا ننسى تجربة اليابان وربما يكون أكبر من استفاد من هذا الاسلوب عدو الامة والبشرية إسرائيل حيث يهود الشتات وعلمائهم المنتشرون في كل مكان.
- إعداد قاعدة بيانات مع مراعاة تحديثها لجميع الكفاءات العربية المهاجرة للاستفادة منهم في أوطانهم لأنهم يشغلون مراكز مرموقة في الجامعات والمراكز البحثية والوكالات الأجنبية المتخصصة .
- تفعيل عدد من السياسات والمواد العلمية والمادية والتعليمية بقانون الهجرة ودخولها حيز التنفيذ خاصة مع تصاعد هجرة الكفاءات في ظل زيادة تيار العولمة تأسيسا على مصالح الدول الصناعية المتقدمة.
- وضع برنامج مدروس وهدف محدد ورؤية واضحة ترصد جميع الفعاليات في دول العالم الغربي حيث ان جميع المؤسسات العلمية والبحثية فيها يعمل كل منها على شاكلته.
- توحيد منبع القرار في المؤسسات العلمية والبحثية وجعلها مؤسسات تكاملية بدلاً من كونها تنافسية في المظهر لا في الجوهر وإستعدادها بإرسال العقول المهاجرة إليها للدول المحتاجة.
- يجب تبني نظام مبني على التعليم والتدريب والبحث المستمر و التواصل مع المراكز البحثية والصناعية وربط الدراسات العليا والبحث العلمي بالصناعة .
- جعل الجامعة مركزاً استشارياً عن طريق النزول إلى الميدان بدلاً من التركيز على التدريس وتخريج كوادر متشابهة لا يختلف فيها خريج هذا العام عن ذلك الذي تخرج قبل عشر سنوات .

- التركيز على الدعم المالي فهو أساس البحث والتطوير فالدول العربية لاتنفق إلا نسبة ضئيلة من دخلها القومي على البحث لعلمي .
- تشجيع إقامة تجمعات واتحادات وندية تجمع الكفاءات العربية وتتيح لهم فرص التعرف على بعضهم البعض حيث أن مثل تلك الإتحادات تمكن المتخصصين في الوطن العربي الإتصال بهم والتعاون معهم كل في مجال تخصصه.
- إعادة بلورة الوضع العلمي والبحثي والتعليمي في العالم العربي بما يتوافق مع معطيات العصر ومتطلبات التنمية مما ينعكس ايجاباً على خفض نسبة الهجرة وإستقطاب بعض العقول المهاجرة للمشاركة ولو من بعيد بهموم .
- وضع استراتيجية عربية " للتعامل مع هذه المشكلة الحيوية لأن إستفادة الدول العربية من هذه الهجرة ضعيفة للغاية مقارنة باستفادة اسرائيل من مثل هذه الهجرات، فلا بد من التصدي بكل الوسائل لوقف هذا النزيف الذي يلحق الضرر بالتطور الاقتصادي القومي والتركيب الهيكلي للسكان .

الخلاصة :

- في الوقت الذي تعاني فيه كثير من الدول النامية من ظاهرة هجرة العقول وبسبب الاعراضات المادية لحياة أفضل خسر عالمنا العربي الكثير من العلماء أمثال المصريين الدكتور فاروق الباز عالم الفضاء الشهير والدكتور أحمد زويل الحاصل على جائزة نوبل في الكيمياء وغيرهما من باقي البلدان العربية. ومنذ حوالي ثلاثة عقود تتزايد هجرة العقول التي يطلق عليها البعض (نزيف العقول) لما لها من آثار سلبية على سوق العمل واقتصاديات الدول التي تحدث فيها وتتكدب الكثير من الدول الأفريقية الكثير من الخسائر الاقتصادية نتيجة للاستعانة بموظفين أجانب يبلغ عددهم حوالي 100 ألف موظف مما يكلفها 4 مليارات دولار سنويا.

إن أسباب تلك الهجرة ، والتي منها ما هو اقتصادي مرتبط بزيادة الدخل أو توفير ظروف معيشية كريمة للأسرة أو البحث عن فرص عمل تتناسب والتخصص المعني للمهاجر ، ومنها ما هو سياسي ، ومنها ما هو اجتماعي ومنها ما هو مرتبط بتحقيق الذات أو غير ذلك من الأسباب ، وبدون معاجة الأسباب الرئيسة لن تعود تلك

الكفاءات لدولها ، فمعالجة أسباب الهجرة مرتبط بحكوماتنا العربية والتي لا يكثر الكثير منها لعودة تلك الكفاءات ، أما الأسباب التي تتعلق بالمهاجر فهذه مرتبطة بالقناعة الشخصية للمهاجر والتي يصعب التنبؤ بها . ويمكن الاستفادة من الكفاءات التي يتعذر رجوعها قدر الإمكان وهي في مهجرها حيث أن ذلك حل أفضل من أن نبحث في رجوعها لدولها لأسباب لا نملك الجزم بنجاحها لخروجها عن أيدينا فالأمل موجود ولكننا نتعامل من منظور الواقع نسال الله أن يوفق الدول في ارجاع الكثير من تلك العقول لديارها حتي تشارك في التنمية بصورة ملموسة.

كبير باحثين : عائدة عزت

إشراف : زينب سليمان (مدير عام التوعية والتنسيق)

المصادر :

<http://www.balagh.com/thaqafa/zp04kv5x.htm> -

- مقالة نشرت بجريدة الوطن الكويتية - تاريخ النشر: الاحد 14 / 10 / 2007

<http://www.middle-east-onlin..com/id=44374>

- د. محمد عصام خليفة عميد كلية الحاسبات بجامعة عين شمس .

- د. طارق كامل وزير الإتصالات والمعلومات

- د. على خضر استاذ الإجتماع جامعة حلوان.

- المهندس اسامة المصرى خبير الإتصالات والأليكترونيات .

- د حمدي عبد العظيم أستاذ الإقتصاد والرئيس السابق لأكاديمية السادات للعلوم الإدارية .